التمسك بالأمل

وإتقان العمل وقت الأزمات

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

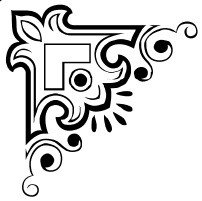

الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ

فَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ لِأَحَدٍ عَيْشٌ، لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَهُ أَمَلٌ فِي أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مَا تَتَغَيَّرُ بِهِ الْأَحْوَالُ، وَتَسْعَدُ بِهِ الْحَيَاةُ.

لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَمُنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ مِنَ الصَّعْبِ إِلَىٰ السَّهْلِ، وَمِنَ التَّعْسِيرِ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ.

لَوْ لَا هَذَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ أَحَدٌ بِعَيْشٍ، وَلَا طَابَتْ نَفْسُ إِنْسَانٍ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَغْرِسُ غَرْسًا؛ فَهَذَا الْغَرْسُ لَا يُؤْتِي ثَمَرَتَهُ وَلَا أُكُلَهُ إِلَّا بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ.

لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا غَرَسَ إِنْسَانٌ غَرْسًا، وَلَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا، وَيَبْنِي بَيْتًا؛ فَإِنَّهُ بِرَجَاءِ أَنْ يُعَمِّرَ هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنْ يَعِيشَ فِيهِ سَنَوَاتٍ طِوَالًا.

لَوْ لَا أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَزَ فِي نَفْسِهِ الْأَمَلُ؛ مَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا، وَمَا غَرَسَ أَحَدٌ غَرْسًا، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَالْأَمَلُ فِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ، وَمِنْ أَجْلِهِ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يَحْيَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ وَإِلَّا لَتَوَقَّفَتْ مَعَايِشُ النَّاسِ، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ فِي الْحَيَاةِ عَمَلًا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ» - الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١١-١٠-٢٠٠٥م.

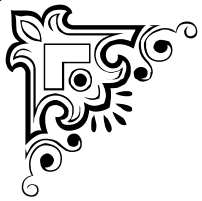

الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَمَلِ وَرَجَاءِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَرْزُقَهُ ﷻ بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ، فَكَانَتِ الْبُشْرَى مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، **قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١].

* **وَيَعْقُوبُ** عليه السلام **أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ فِي أَمَلِهِ وَرَجَائِهِ فِي رَبِّهِ، رَغْمَ مِحْنَتِهِ الشَّدِيدَةِ بِفَقْدِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٣-٨٧].

* **وَهَذَا دُعَاءُ أَيُّوبَ** عليه السلام **لِرَبِّهِ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الضُّرَّ الَّذِي مَسَّهُ، وَأَمَلُهُ وَقُوَّةُ رَجَائِهِ فِي اللهِ، وَاسْتِجَابَةُ اللهِ لَهُ، قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤].

* **وَهَذِهِ بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِأَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُهُ وَلَدًا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥١-٥٦].(*).

* **اللهُ** جَلَّ وَعَلَا **أَخْبَرَ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا؛ فَلْيَكُنِ الْمُسْلِمُ عَلَى أَمَلٍ دَائِمٍ بِتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ١-٦].

قَدْ فَتَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَوَسَّعْنَاهُ لِلْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَعَلْنَاهُ مُنْبَسِطًا رَاضِيًا، وَمُتَحَمِّلًا لِأَعْبَاءِ حَمْلِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، وَمُتَحَمِّلًا أَخْلَاقَهُمْ.

وَحَطَطْنَا عَنْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ هُمُومٍ كُبْرَىٰ لِإِصْلَاحِ قَوْمِكَ، وَإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ خَبَائِثِهَا وَظُلْمِهَا وَفَسَادِهَا.

فَبَيَّنَ لَكَ وَسَائِلَ التَّبْلِيغِ، وَأَسَالِيبَ التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، فَأَلْقَىٰ عَنْكَ كُلَّ هُمُومِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَعْلِيمَاتٍ وَأَوَامِرَ رَبَّانِيَّةٍ تُوَضِّحُ لَكَ مَنْهَجَ دَعْوَتِكَ.

وَأَعْلَيْنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ذِكْرَكَ الْحَسَنَ؛ إِذْ جَعَلْتُكَ رَسُولًا، وَاسْتَمَرَّ عَطَائِي لَكَ حَتَّىٰ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالتَّشَهُّدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ يُسْرًا وَرَخَاءً عَاجِلًا، فَإِنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

يُظْهِرْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ؛ فَذَلِكَ تَيْسِيرٌ مِنْ بَعْدِ التَّعْسِيرِ.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا كَذَلِكَ؛ فَكُنْ عَلَىٰ أَمَلٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَلَقَّ الْأَحْدَاثَ الْحَاضِرَةَ الْمُؤْلِمَةَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَبِنَفْسٍ مُنْشَرِحَةٍ مَشْحُونَةٍ بِالْأَمَلِ فِيمَا سَيَأْتِي، صَابِرَةٍ عَلَىٰ الْعُسْرِ الْوَاقِعِ.

فَالنَّفْسُ الْمَشْحُونَةُ بِأَمَلِ الْيُسْرِ الْقَادِمِ يَضْمُرُ لَدَيْهَا أَلَمُ الْعُسْرِ الْقَائِمِ، وَمُنْتَظِرُ الْفَجْرِ الْقَرِيبِ لَا يَشْعُرُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْقَاتِمِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! كَمَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَهَمِّيَّةَ الْأَمَلِ وَثَمَرَاتِهِ؛ نَهَى عَنِ الْيَأْسِ وَآثَارِهِ، وَحَذَّرَ مِنَ الْقُنُوطِ وَعَوَاقِبِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَلَّا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَمِّلُوا فِي رَوْحِ اللهِ، وَأَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا مِنْ وَسِيعِ رَحْمَتِهِ.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

يُخْبِرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُسْرِفِينَ بِوَسِيعِ كَرَمِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ الْإِنَابَةِ قَبْلَ أَلَّا يُمْكِنَهُمْ ذَلِكَ.

فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ مُخْبِرًا لِلْعِبَادِ عَنْ رَبِّهِمْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِاتِّبَاعِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالسَّعْيِ فِي مَسَاخِطِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الشرح: ١-٦].

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾: لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا فَتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ، وَتَقُولُوا: قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا، وَتَرَاكَمَتْ عُيُوبُنَا، فَلَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ يُزِيلُهَا، وَلَا سَبِيلٌ يَصْرِفُهَا، فَتَبْقُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُصِرِّينَ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ، مُتَزَوِّدِينَ مَا يُغْضِبُ عَلَيْكُمُ الرَّحْمَنَ.

وَلَكِنِ اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَيْ: وَصْفُهُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ وَصْفَانِ لَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ، لَا تَنْفَكُّ ذَاتُهُ عَنْهُمَا أَبَدًا، وَلَمْ تَزَلْ آثَارُهُمَا سَارِيَةً فِي الْوُجُودِ، مَالِئَةً لِلْمَوْجُودِ، تَسِحُّ[1] يَدَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَىٰ الْعِبَادِ وَالْفَوَاضِلَ فِي السِّرِّ وَالْجَهَارِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَالرَّحْمَةُ سَبَقَتِ الْغَضَبَ وَغَلَبَتْهُ.

وَلَكِنْ لِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَنَيْلِهِمَا أَسْبَابٌ، إِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا الْعَبْدُ؛ فَقَدْ أَغْلَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا؛ بَلْ لَا سَبَبَ لَهَا غَيْرُهُ: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ، وَالتَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدُ؛ فَهَلُمَّ إِلَىٰ هَذَا السَّبَبِ الْأَجَلِّ، وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ.

---

(١) (تَسِحُّ) بِتَخْفِيفِ السِّينِ وَكَسْرِهَا، أَيْ: دَائِمَةُ الصَّبِّ والهطْل بالعَطاء، وَ(السَّحُّ): الصَّبُّ الدَّائِمُ، انظر: شرح النووي علىٰ «**صحيح مسلم**»: ٧/ ٨٠، و«**النهاية في غريب الحديث**» لابن الأثير: حَرْفُ السِّينِ: بَابُ السِّينِ مَعَ الْحَاءِ، ٢/ ٣٤٥.

وَلِهَذَا أَمَرَ تَعَالَىٰ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بِقُلُوبِكُمْ، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ بِجَوَارِحِكُمْ.

إِذَا أُفْرِدَتِ الْإِنَابَةُ؛ دَخَلَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ كَانَ الْمَعْنَىٰ -كَمَا مَرَّ-.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَّهُ مِنْ دُونِ إِخْلَاصٍ لَا تُفِيدُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ شَيْئًا.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مَجِيئًا لَا يُدْفَعُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا الْإِنَابَةُ وَالْإِسْلَامُ؟ وَمَا جُزْئِيَّاتُهَا وَأَعْمَالُهَا؟

فَأَجَابَ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ مِمَّا أَمَرَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ؛ كَمَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ، وَمِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا.

فَالْمُتَتَبِّعُ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَنَحْوِهَا هُوَ الْمُنِيبُ الْمُسْلِمُ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وَكُلُّ هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ الْمُبَادَرَةِ، وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ»[١].(*).

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٧٢٧ و٧٢٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

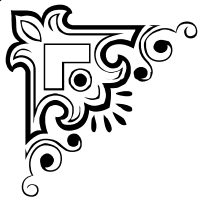

الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَلَ إِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ التَّيْسِيرَ وَالتَّبْشِيرَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ: «**يَسِّرا وَلَا تُعَسِّرا، وَبَشِّرا وَلَا تُنَفِّرا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٩٣، رقم (٣٩).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ٣/ ١٣٥٨، رقم (١٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١٦٣، رقم (٣٠٣٨) وفي مواضع، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

«وَنَبِيُّنَا ﷺ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا؛ كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**».

قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟

قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»(٢). (*).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٥٢٤، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١/ ١٦٣، رقم (٦٩)، بلفظ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا**».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٢١٤ و٢٤٤، رقم (٥٧٥٦ و٥٧٧٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٧٤٦، رقم (٢٢٢٤)، من حديث: أَنَسٍ ﷺ.

والحديث في «الصحيحين» أيضا من رواية أبي هريرة ﷺ، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «ضَوَابِطُ الرِّوَايَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ» – [الْجُزْءُ الثَّانِي: ٤٨٤].

وَالرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ فِي رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَى- مِمَّا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْمُشَرَّفَةِ؛ فَعَنْ شَطْبٍ الطَّوِيلِ: أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً -وَالْحَاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالدَّاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الْكَبِيرَةُ- أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: «**أَسْلَمْتَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَافْعَلِ الْخَيْرَاتِ، وَاتْرُكِ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلْهَا اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهَا**».

قَالَ: وَغَدَرَاتي وَفَجَرَاتِي؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: ٥/ ١٨٨ و١٨٩، رقم (٢٧١٨)، والبزار كما في الزوائد علىٰ «**المسند**»: ٤/ ٧٩ و٨٠، رقم (٣٢٤٤)، والدولابي في «**الكنىٰ**»: ١/ ٢٣٣، رقم (٤٢٠)، وأبو القاسم البغوي في «**معجم الصحابة**»: ٣/ ٣٢٢، رقم (١٢٦٢)، وابن قانع في «**معجم الصحابة**»: ١/ ٣٤٩، ترجمة (٤٤١)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: ٧/ ٣٧٥ و٣٧٦، رقم (٧٢٣٥).

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ١٥-٤-٢٠١٦م.

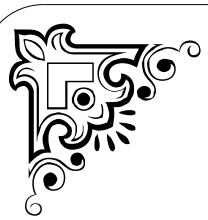

الْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

«دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ هُوَ دِينُ الْحَرَكَةِ النَّافِعَةِ، وَالنَّشَاطِ الْمُتَوَثِّبِ، وَالْعَمَلِ الدَّءُوبِ، يَحُثُّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَجْعَلُهُ نَوْعًا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَعُدُّهُ قِسْمًا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

الْإِسْلَامُ يَكْرَهُ الْكَسَلَ وَالْخُمُولَ، وَيَكْرَهُ الِاتِّكَالَ عَلَىٰ الْغَيْرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]»(١).(*).

فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُم، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللهِ بِأَنَاةٍ وَرِفْقٍ،

---

(١) «**تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**» لعبد الله آل بسام: مقدمة قسم المعاملات، (ص٤٤٦-٤٤٧)، بتصرف يسير.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الْخَمِيسُ ٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ١٨-٢-٢٠١٠م.

مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ رَغْبَةً فِي الْفَوْزِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

مُسَافِرُونَ يُسَافِرُونَ لِلتِّجَارَةِ؛ لِيَسْتَغْنُوا عَنِ الْخَلْقِ، وَيَتَكَفَّفُوا عَنِ النَّاسِ(*/٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّ ابْتِغَاءَ فَضْلِ اللهِ بِالتَّكَسُّبِ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ لَيْسَ فِيهِ حَرَجٌ إِذَا لَمْ يَشْغَلْ عَمَّا يَجِبُ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ هُوَ الْحَجَّ، وَكَانَ الْكَسْبُ حَلَالًا مَنْسُوبًا إِلَىٰ فَضْلِ اللهِ، لَا مَنْسُوبًا إِلَىٰ حِذْقِ الْعَبْدِ وَالْوُقُوفِ مَعَ السَّبَبِ وَنِسْيَانِ الْمُسَبِّبِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْحَرَجُ بِعَيْنِهِ.(*/٣).

وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا **جَعَلَ اللَّيْلَ لِرَاحَةِ الْبَشَرِ، وَالنَّهَارَ لِطَلَبِ الرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ؛ قَالَ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠-١١].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الجمعة: ١٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ)، السَّبْتُ ١٥ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٣٠-١-٢٠١٠م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» (تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ سِتْرًا وَغِطَاءً، وَقَطْعًا لِلْحَرَكَةِ، وَتَحْصِيلًا لِلرَّاحَةِ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ وَقْتًا لِطَلَبِ الْعَيْشِ وَالرِّزْقِ، وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَالْحَيَاةِ.(*).

وَقَدْ شَرَعَ اللهُ ﷻ لِعِبَادِهِ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ؛ وُصُولًا إِلَى الْغَرَضِ، وَدَفْعًا لِلْحَاجَةِ؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وَأَحَلَّ اللهُ لَكُمُ الْأَرْبَاحَ فِي التِّجَارَةِ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ نَفْعٍ لِلْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَحَرَّمَ الرِّبَا الَّذِي هُوَ زِيَادَةٌ فِي الْمَالِ لِأَجْلِ تَأْخِيرِ الْأَجَلِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ اسْتِغْلَالٍ وَضَيَاعٍ وَهَلَاكٍ.(*/٢).

وَجَعَلَ اللهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشَرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ حِرَاثَةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا، وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا، فَامْشُوا فِي جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشْيًا رَفِيقًا لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُوا مِمَّا خَلَقَهُ اللهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاكْتَسِبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللهُ تَعَالَىٰ لَكُمْ، وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَفَصْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ.(*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النبأ: ١٠-١١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [البقرة: ٢٧٥].

(*/ ٣) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الملك: ١٠].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمُ السُّفُنَ الْجَارِيَةَ عَلَىٰ الْمَاءِ وَفْقَ نِظَامِ الطَّفْوِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الِانْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ تَشْرَبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ، وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَىٰ.

وَذَلَّلَ اللهُ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَىٰ مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتُرَانِ عَنْ حَرَكَتِهِمَا مِنَ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ فِي الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ، لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَايِشَكُمْ.(*).

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي خَلْقِ اللهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَسْخِيرِهَا لِلْإِنْسَانِ، يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا التَّسْخِيرِ وَالتَّذْلِيلِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمُ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمُ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

اللهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ رَاحَةً وَاسْتِقْرَارًا وَمَسْكَنًا تَسْكُنُونَهُ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ -وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ- خِيَامًا يَخِفُّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي يَوْمِ سَيْرِكُمْ وَرَحِيلِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَتَخِفُّ عَلَيْكُمْ -أَيْضًا- فِي إِقَامَتِكُمْ وَحَضَرِكُمْ، وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالَيْنِ.

وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَافِ الضَّأْنِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَعْزِ أَثَاثًا لِبُيُوتِكُمْ مِنَ الْفُرُشِ وَالْأَكْسِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَلَاغًا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ إِلَىٰ حِينِ الْمَوْتِ.

اسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ طَهَارَةِ جُلُودِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَلَّ أَكْلُهَا، وَطَهَارَةِ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِذَا جُزَّ فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ إِذَا دُبِغَ.

وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْتَكِنُّونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَالْأَسْرَابِ وَالْمَغَارَاتِ وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمُصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بَأْسَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، وَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرِّمَاحُ إِلَىٰ جَسَدِ مَنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِيمَا مَضَىٰ، سَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ؛ فَيُمَكِّنُكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءَ لَا حَصْرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَصْرِ التَّنْزِيلِ، مِمَّا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِإِلْهَامِ اللهِ لَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسْلِمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ.(*).

وَأَمَرَ اللهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَطَالِبِ دُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، أَوْ مَطَالِبِ آخِرَتِهِ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَىٰ اللهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ، وَأَتْعِبْ نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخْلِ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارِغًا، وَلَا تَرْكَنْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّعْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ.(*/٢).

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْآفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ وَفِيمَا بَثَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَىٰ الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النحل: ٨٠-٨١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الشرح: ٧-٨].

فَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَىٰ تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ صِدْقِ مَنْ أَتَىٰ بِهِ مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ.

دِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ، وَفِي النَّظَرِ فِي آفَاقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ، بَلْ وَعَلَىٰ النَّظَرِ فِيمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِمَّنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي حَدَّدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَىٰ، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ، وَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقَدَّمُوا حَتَّىٰ مَلَكُوا الْعَالَمَ الْقَدِيمَ كُلَّهُ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَأَيَّدَهُمْ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْمُبَيِّنَةِ لِلْحَقَائِقِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمْ وَحَقِيقَةِ مَا جَاؤُوا بِهِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

الَّذِي فِيهِ الْهُدَىٰ وَالرَّحْمَةُ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ أَيْضًا الْمِيزَانَ الَّذِي هُوَ الْعَدْلُ وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مِنْ أُصُولِ الْعَدْلِ وَفُرُوعِهِ، وَذَلِكَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ إِذَا عَمِلُوا بِهَا فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَجَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

فَمَتَىٰ عَمِلُوا بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ صَلَحَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمْ.

وَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ، فَخَصَّ مَنَافِعَهُ فِي أُمُورِ الْحَرْبِ، ثُمَّ عَمَّمَهَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ، فَالْحَدِيدُ أَنْزَلَهُ اللهُ لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ إِلَّا النَّادِرَ مِنْهَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ الْحَدِيدِ، وَقَدْ سَاقَهَا اللهُ فِي سِيَاقِ الِامْتِنَانِ عَلَىٰ الْعِبَادِ بِهَا، وَمُقْتَضَىٰ ذَلِكَ؛ الْأَمْرُ بِاسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَنَافِعِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَعَلُّمَ الْفُنُونِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ وَصِنَاعَةِ الْأَسْلِحَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَالْمَرَاكِبِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]».

«هَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحُثُّ عَلَىٰ الرُّقِيِّ الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ».(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - السَّبْتُ ١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٩-١٠-٢٠١٣م.

عِبَادَ اللهِ! لَيْسَ الْإِسْلَامُ دِينَ بَطَالَةٍ أَوْ تَوَاكُلٍ، أَوْ سُؤَالٍ وَكَسَلٍ وَخُمُولٍ، وَإِنَّمَا هُوَ دِينٌ يُحَفِّزُ أَتْبَاعَهُ عَلَى الْعَمَلِ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ، وَيَمْقُتُ الِاعْتِمَادَ عَلَى الْآخَرِينَ؛ فَهُوَ يُشَخِّصُ الدَّاءَ وَيَضَعُ الدَّوَاءَ، وَيَتَبَيَّنُ مَدَى حِرْصِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْكَسْبِ الْمَشْرُوعِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ(١)**؛ فَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ**؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»**(٢).
وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَ«**فَسِيلَةٌ**»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَىٰ هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَىٰ آخِرِ أَمَدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ؛ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَاغْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثِّ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَىٰ الْحَضِّ عَلَىٰ الِاسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا

---

(١) بتصرف يسير من مقال بعنوان: «الترغيب في طلب الحلال».

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٦)، وَالْبَزَّارُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَىٰ التِّجَارَةِ» (٧٤)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/ ٧٥) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَىٰ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيُجْرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «**فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»: وَهَذَا -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا؛ لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَىٰ نَتِيجَتِهِ وعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوُّهَا حَتَّىٰ إِثْمَارِهَا سَنَواتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُ ﷺ يَحُثُّ عَلَىٰ غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَىٰ الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَىٰ الْمَدَىٰ الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جِدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ الْعَظِيمُ فِي اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيُجْرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الطَّاعَةِ إِلَىٰ آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ.(*).

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى العَمَلِ، وَبَيَّنَ ﷺ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ عَلَى نَفَقَةِ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ؛ فَعَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيث: ٤٧٩، ص: ٢١٢٥ - ٢١٢٨).

صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ»(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَىٰ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُ بِهِ؛ يَكُونُ لَكَ فِيهِ صَدَقَةٌ، وَهَكَذَا مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ زَوْجَةٍ، وَابْنٍ، وَخَادِمٍ وَمَمْلُوكٍ لَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ النِّيَّة.

إِنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ -أَيُّهَا الْمُسْلِمُ- وَعَلَىٰ أَهْلِكَ، وَعَلَىٰ مَمْلُوكِكَ، وَعَلَىٰ الْأَجِيرِ الْخَادِمِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ.

وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَىٰ النِّيَّةِ، أَيْ: أَنْ تَنْوِيَهُ نِيَّةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ فِي وُجُوهِ الْحَلَالِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ، وَالْمَسْكَنُ وَالْمَرْكَبُ تَحْتَسِبُهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أحمد في «المسند» (٤/ ١٣١ - ١٣٢، رقم ١٧١٧٩، و١٧١٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢، و١٩٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨/ رقم ٩١٤١، و٩١٦٠).
والحديث أخرجه أيضا ابن ماجه (٢١٣٨)، بلفظ: «**مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ**».
والحديث صحح إسناده الألباني في «الصحيحة» (٤٥٢).

وَهَكَذَا إِذَا قَدَّمْتَ إِحْسَانًا تَحْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**لَا أَجْرَ إِلَّا عَن حِسْبَةٍ**»(١) -صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»-؛ أَيْ: لِمَنْ يَحْتَسِبُ، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ حَدِيثِ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»(٢)؛ أَيْ: تَنْوِي إِذَا قُدِّمَ لَكَ الطَّعَامُ مِنْ حَلَالٍ أَنْ تَنْوِيَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَنَّكَ تُحْسِنُ بِهِ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَتَتَقَوَّىٰ بِهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَقَضَاءِ حَاجَاتِكَ الْمُبَاحَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَكُونُ لَكَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَجْرٌ.

وَهَذَا تَكَرُّمٌ مِنَ اللهِ ﷻ وَإِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ مَائِدَتِكَ، وَكُلُّ مَنْ شَرِبَ مِمَّا كَسَبَتْ يَدُكَ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ.

وَهَذَا جَاءَ مُوَضَّحًا فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذَا الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسنده» (٤/ ٢٠٦) كما في «الصحيحة» للألباني، من حديث: أبي ذر رضي الله عنه.

وروي نحوه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ**»، أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (١/ رقم ١٧٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (رقم ٦٨٦)، بإسناد ضعيف، وروي مرسلا عن القاسم بن عبد الرحمن الشامي، بلفظ: «**لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ**»، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم ١٥٢)، بإسناد لا بأس به عنه.

والحديث صححه بشواهده الألباني في «الصحيحة» (٢٤١٥).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١، و٥٤) ومواضع، ومسلم (١٩٠٧)، من حديث: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

أُنْثَىٰ لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ أَبَدًا، حَتَّىٰ هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ وَبِنْيَتَهُ، وَيَحْفَظُ وَلَدَهُ لَهُ فِيهِ الْأُجُورُ الْمُضَاعَفَةُ؛ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ.(*).

وَمِنْ دَلَائِلِ حَثِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**».

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:

* **الْأُولَىٰ**: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* **وَالثَّانِيَةُ**: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهْمًا مَضْبُوطًا، وَلَا عُذْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَىٰ فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو...**»: وَالْغُدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» [ص: ٩١٨-٩٢١].

مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزقِهَا، مُبكِّرَةً مَعَ خُيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمِلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَرْزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلُ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشِرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيٌّ بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يُرْزَقُ»، وَلَنْ تَجِدَ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يُرْزَقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَىٰ الْمَوْتِ، وَحِينَئِذٍ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْق.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكِّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَبَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمِلُ لَهُ هَمًّا، «**خِمَاصًا**»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذَهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدِ الْتَزَقَتْ لُحُومُهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا، «**تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**»: وَقَدِ امْتَلَأَتْ بُطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!

مِنْ رِزْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

هَلْ قَدَّرَتْ لِذَلِكَ تَقْدِيرًا؟!!

هَلْ وَضَعَتْ لَهُ خُطَّةً لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهِ؟!!

إِنَّمَا أَخَذَتْ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ رَبِّ الْأَسْبَابِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدَّعِي

رِزْقًا، وَلَا يَدَّعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةً؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ خَالِقُهُ وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ، وَنَاصِيتُهُ بِيَدِهِ.

وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فَهَذَا مَوْكُولٌ إِلَىٰ الْعَبْدِ، وَلَا يُعَوِّلُ الْمَرْءُ عَلَىٰ السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحَصِّلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٨هـ| ١٧-٢-٢٠١٧م.

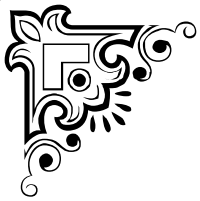

الْعَمَلُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ

إِنَّ طَلَبَ الْمَعَاشِ وَاكْتِسَابَ الرِّزْقِ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ حَيْثُ يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَدًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ؛ طَلَبًا لِمَعَاشِهِمْ وَلِاكْتِسَابِ أَرْزَاقِهِمْ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ، وَمَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ، وَمَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ كَانُوا بَشَرًا مِثْلِي يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ.(*).

وَحَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ مُتَعَجِّبِينَ: أَيُّ شَيْءٍ اخْتُصَّ بِهِ مُحَمَّدٌ حَتَّىٰ اسْتَطَاعَ بِسَبَبِهِ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا، وَالْحَالُ أَنَّهُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ كَمَا نَأْكُلُ نَحْنُ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ كَمَا نَمْشِي يَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ؟!!(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الفرقان: ٢٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الفرقان: ٧].

«إِنَّ الْعَمَلَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ سُنَّةُ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-، فَالِاحْتِرَافُ وَالتَّكَسُّبُ قَامَ بِهِ خَيْرُ الْخَلْقِ وَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللهِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا ﷺ وَ رضي الله عنهم.

وَقَدْ تَكَاثَرَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي بَيَانِ ذَلِكَ؛ قَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ دَاوُدَ عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ رضي الله عنه -كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(١)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**».

وَثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ -كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ(٢)- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ نَبِيَّ اللهِ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَّارًا**».

وَعَمِلَ مُوسَىٰ عليه السلام أَجِيرًا عَشْرَ سِنِينَ؛ كَمَا قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- حِكَايَةً عَنِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٧-٢٨].

---

(١) «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨٤٧، رقم ٢٣٧٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَدْ تَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَالِ خَدِيجَةَ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ ﷺ-، وَسُئِلَ ﷺ: أَكُنْتَ تَرْعَىٰ الْغَنَمَ؟

قَالَ: «**وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ عَمَلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم؛ **فَعَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها **قَالَتْ**: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ، فَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ». هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

وَمَعْنَىٰ «**أَرْوَاحٌ**»؛ أَيْ: لَهُمْ رَوَائِحُ؛ بِسَبَبِ عَمَلِهِمْ وَعَرَقِهِمْ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ** رضي الله عنه **قَالَ**: «قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَؤُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَأَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ». هَذَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»(٣).

وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَانَ صَاحِبَ حِرْفَةٍ يَكْتَسِبُ مِنْهَا، فَلَمَّا وُلِّيَ الْخِلَافَةَ شُغِلَ عَنْ حِرْفَتِهِ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَفَرَضَ لَهُ حَاجَتَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، يَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ وَآلُهُ.

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٦/ ٤٣٨، رقم ٣٤٠٦)، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٦٢١، رقم ٢٠٥٠)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧١)، و«**صحيح مسلم**»: (٢/ ٥٨١، رقم ٨٤٧).

(٣) «**الصحيح**» للبخاري: (٤/ ٣٠٣، رقم ٢٠٧٠).

وَقَوْلُهُ: «وَأَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»؛ أَيْ: أَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ وَتَمْيِيزِ مَكَاسِبِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ -وَكَأَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ مَشْغُولًا-، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَىٰ...» الْحَدِيثَ، وَهُوَ مَعْلُومٌ فِي سُنَّةِ الِاسْتِئْذَانِ، وَفِيهِ قَالَ عُمَرُ: «أَخَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!!»؛ يَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ»؛ يَعْنِي: الْخُرُوجَ إِلَىٰ التِّجَارَةِ.

الْحَدِيثُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا(١).

فَعُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يُتَاجِرُ، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَىٰ الْأَسْوَاقِ، فَلَمَّا فَاتَتْهُ هَذِهِ السُّنَّةُ مِنْ سُنَنِ الِاسْتِئْذَانِ صَارَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ، قَالَ: «أَخَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!! أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ».

وَعَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ قَالَ: «سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رضي الله عنهما عَنِ الصَّرْفِ».

فَقَالَا: «كُنَّا تَاجِرَيْنِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَنِ الصَّرْفِ، **فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ(٢)، وَإِنْ كَانَ نَسِيئًا فَلَا يَصْلُحُ(٣)**».

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٩٨، رقم ٢٠٦٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٩٥- ١٦٩٦، رقم ٢١٥٣).

(٢) «**يدًا بيد**»: يقبض كل من المتعاقدين البدل من الآخر في المجلس.

(٣) «**نَسِيْئًا**» بكسر السين ثم مثناة تحتية ساكنة مهموزًا؛ أي: متأخِّرًا، وفي رواية: «**نَسَاءً**» =

هَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

وَ«الصَّرْفُ»: مُبَادَلَةُ النَّقْدِ بِالنَّقْدِ، يُعْرَفُ الْآنَ بِبَيْعِ الْعُمْلَةِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ**: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ...».

قَالَ مُعَلِّلًا: «وَإِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَانِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: «**إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَىٰ مَا أَقُولُ**»، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَىٰ صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ».

هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

=

بفتح النون والسين المهملة ممدودًا.

(١) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٩٧، رقم ٢٠٦٠)، واللفظ له، و«**صحيح مسلم**»: (٣/ ١٢١٢، رقم ١٥٨٩).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٨٧- ٢٨٨، رقم ٢٠٤٧)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ١٩٣٩، رقم ٢٤٩٢).

وَفِيهِ: أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَأَنَّ الْأَنْصَارَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلٌ فِي أَمْوَالِهِمْ، فِي زُرُوعِهِمْ وَفِي بَسَاتِينِهِمْ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) **عَنْ أَنَسٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًىٰ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ.

قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَىٰ السُّوقِ.. فَمَا رَجَعَ حَتَّىٰ اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَىٰ بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ رضي الله عنه...».

وَعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: «كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَىٰ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّىٰ يُمِيتَكَ اللهُ ثُمَّ تُبْعَثُ.

قَالَ: دَعْنِي حَتَّىٰ أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَىٰ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيَكَ!!

فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨]». هَذَا الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢).

---

(١) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٢٨٨، رقم ٢٠٤٨و٢٠٤٩)، و«**صحيح مسلم**»: (٢/ ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧).

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٤/ ٣١٧، رقم ٢٠٩١)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٥٣، رقم ٢٧٩٥).

وَ«الْقَيْنُ»: الْحَدَّادُ؛ فَكَانَ يَعْمَلُ بِهَذِهِ الْحِرْفَةِ، وَكَانَ يَتَّخِذُ هَذَا الْعَمَلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رضي الله عنه.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «كَانَتْ زَيْنَبُ -تَعْنِي بِنْتَ جَحْشٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ- امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ(١)؛ فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ(٢) وَتَتَصَدَّقُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ عَمَلِهِمْ -رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْهُمْ-»(٤). (*).

❀❀❀

(١) «**صَنَاعَ الْيَدِ**» بفتح الصاد، ويجوز كسرها؛ أي: حاذِقةٌ ماهِرة بِعَمَلِ الْيَد.

(٢) «**تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ**»؛ **أي**: تعمل في دباغة الجلود وخياطتها.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٢٨٥-٢٨٦، رقم ١٤٢٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٩٠٧، رقم ٢٤٥٢) مختصرًا.

وأخرجه -أيضًا- الحاكم في «**المستدرك**»: (٤/ ٢٥، رقم ٦٧٧٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ»، واللفظ له.

(٤) «**تمام المنة**»: (٣/ ٢٨٠-٢٨٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ| ١٤-٧-٢٠١٠م.

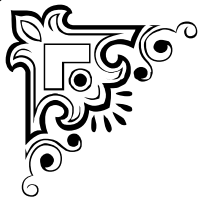

إِتْقَانُ الْعَمَلِ فِي الْإِسْلَامِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْأَزْمَاتِ لَا تَزِيدُ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ إِلَّا صَلَابَةً؛ فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِينَ بِاللهِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ فِي الْأَزْمَاتِ وَالْمُلِمَّاتِ، ثُمَّ نَجْتَهِدُ فِي الْعَمَلِ وَفِي إِتْقَانِهِ؛ مُتَعَلِّقَةً قُلُوبُنَا بِاللهِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ، آخِذِينَ بِالْأَسْبَابِ؛ حَتَّى نَكُونَ مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ.

إِنَّهُ لَا يَكْفِي الْفَرْدَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْعَمَلَ صَحِيحًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ صِحَّتِهِ مُتْقَنًا؛ فَهَل يَعِي ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى جَعْلِهِ مِيزَةً لِشَخْصِيَّاتِهِمْ وَخُلُقًا يَتَّصِفُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَبْدَأً يَنْطَلِقُونَ مِنْهُ فِي مُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِ وَمَيَادِينِ الْعَمَلِ وَأَسْوَاقِ الصِّنَاعَةِ، لِيَصِلُوا بِهِ إِلَى الْإِنجَازِ وَيُحَقِّقُوا بِسَبَبِهِ النَّجَاحَ؟!!(١).

إِنَّ إِتْقَانَ الْعَمَلِ وَالتَّمَيُّزَ فِيهِ وَالْقِيَامَ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ مِنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ وَحَثَّ عَلَيْهَا وَرَغَّبَ فِيهَا، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَنَّ اللهَ -تَعَالَى- خَلَقَ هَذَا الْكَوْنَ بِإِتْقَانٍ وَإِبْدَاعٍ؛ لِيَسِيرَ النَّاسُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ الْإِلَهِيِّ فِي أَعْمَالِهِمْ؛ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ [النمل: ٨٨].

وَتَرَىٰ الْجِبَالَ -أَيُّهَا الرَّائِي- تَظُنُّهَا مُتَمَاسِكَةً لَا حَرَكَةَ لِذَرَّاتِهَا وَلَا سَيْرَ لَهَا فِي جُمْلَتِهَا، وَهِيَ فِي وَاقِعِ حَالِهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ الَّذِي تَتَحَرَّكُ ذَرَّاتُهُ تَحَرُّكًا دَاخِلِيًّا، وَيَسِيرُ فِي جُمْلَتِهِ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَىٰ مَوْقِعٍ فِي السَّمَاءِ، وَكَذَلِكَ حَالُ الْجِبَالِ وَسَائِرِ مَا فِي

(١) باختصار من: «إتقان العمل».

الْأَرْضِ؛ إِذْ ذَرَّاتُ كُلِّ شَيْءٍ تَتَحَرَّكُ حَرَكَاتٍ فِي دَوَائِرَ وَأَقْفَالٍ مُقْفَلَةٍ.

وَجُمْلَةُ الْأَرْضِ مَعَ جِبَالِهَا تَمُرُّ سَائِرَةً فِي دَوْرَةٍ يَوْمِيَّةٍ حَوْلَ نَفْسِهَا وَفِي دَوْرَةٍ سَنَوِيَّةٍ حَوْلَ الشَّمْسِ.

صَنَعَ اللهُ ذَلِكَ صُنْعًا الَّذِي أَحْكَمَ صُنْعَهُ، وَجَعَلَهُ مُطَابِقًا لِلْمَقْصُودِ مِنْهُ.(*).

وَدِينُنَا الْحَنِيفُ لَا يَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مُجَرَّدَ الْعَمَلِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ إِتْقَانَهُ وَإِحْسَانَهُ، يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**»(٢). (*/٢).

إِنَّ دِينَنَا دِينُ الْإِتْقَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَقَدْ عُنِيَ عِنَايَةً بَالِغَةً بِذَلِكَ، سَوَاءٌ فِي مَجَالِ الصِّنَاعَةِ أَمْ فِي مَجَالِ الْحِرَفِ وَالْمِهَنِ، ذَلِكَ أَنَّ الْأُمَمَ لَا يُمْكِنَ أَنْ تَنْهَضَ أَوْ تَتَقَدَّمَ بِلَا إِتْقَانٍ، وَدَوْرُنَا أَنْ نَجْعَلَ الْإِتْقَانَ ثَقَافَةَ الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ الْإِتْقَانُ هُوَ الْأَصْلَ فِي حَيَاتِنَا وَمَا عَدَاهُ هُوَ الشَّاذُّ الَّذِي لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَا يُمْكِنُ الْقَبُولُ بِهِ.

إِنَّ الْمُسْلِمَ مُطَالَبٌ بِالْإِتْقَانِ فِي أَعْمَالِهِ التَّعَبُّدِيَّةِ وَالْمَعَاشِيَّةِ؛ إِحْكَامًا وَإِكْمَالًا، تَجْوِيدًا وَإِحْسَانًا، وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى الْإِتْقَانِ فِي الْعِبَادَاتِ:

*** الْإِتْقَانُ فِي الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَثَمَرَتُهُ،** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النمل: ٨٨].

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥)، من حديث: شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ عِيدِ الْأَضْحَىٰ١٤٣٧هـ: «فَوَائِدُ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ» - الِاثْنَيْنِ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ١٢-٩-٢٠١٦م.

فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا -يَشُكُّ سَهْلٌ- **يُحْسِنُ فِيهِنَّ الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ؛ غُفِرَ لَهُ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(١).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ(٣): «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَبِوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**». قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُدَّامَ أَنْفُسِنَا، نَتَنَاوَبُ الرِّعَايَةَ -رِعَايَةَ إِبِلِنَا-، فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَرَوَّحْتُهَا بِالْعَشِيِّ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ إِلَّا قَدْ أَوْجَبَ** -أَيْ: أَتَىٰ بِمَا يُوجِبُ لَهُ الْجَنَّةَ-».

فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ، مَا أَجْوَدَ هَذِهِ(٤)!!

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**الْمُسْنَدِ**»: (٦/ ٤٥٠، رقم ٢٧٥٤٦)، وابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: (٤/ ٨٣، رقم ٢٠٤٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «**الْأَوْسَطِ**»: (٥/ ١٨٦، رقم ٥٠٢٦).
والحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (٧/ ١١٧٧، رقم ٣٣٨٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (١/ ٢٣٨، رقم ٩٠٥).
والحديث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ**»: (١/ ٢١٠، رقم ٢٢٨).

(٣) لِأَبِي دَاوُدَ أيضا فِي «**السُّنَنِ**»: (رقم ٩٠٦).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٤)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (١/ ٤٣، رقم ١٦٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجه، وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ(١)؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ، فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ؛ إِلَّا انْفَتَلَ وَهُوَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». الْحَدِيثَ. وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ».

وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِمٍ(٢): سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**».

وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ**»(٣). (*).

---

(١) «**المستدرك**»: (٢/ ٣٩٩، رقم ٣٥٠٨).
قَالَ الْحَاكِمُ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ**»: (١/ ١٩٥، رقم ١٩٠).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (١/ ٢٠٦، رقم ٢٢٨).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (١/ ١١٥، رقم ٤٢٥) و (٢/ ٦٢، رقم ١٤٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَىٰ**»: (١/ ٢٣٠، رقم ٤٦١)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: (١/ ٤٤٩، رقم ١٤٠١).
والحديث صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَرْهِيبِ**»: (١/ ٢٧١، رقم ٣٧٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ» - الْجُمُعَةِ: ٢٤ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٨هـ| ٢١- ٤- ٢٠١٧ م.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى الْإِتْقَانِ فِي الْأَعْمَالِ التَّعَبُّدِيَّةِ: الْإِتْقَانُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ أَعْظَمُ قِيمَةٍ قَطُّ لِمَنْ كَانَ لَهُ حَافِظًا، لِمَنْ كَانَ لَهُ حَامِلًا، لِمَنْ كَانَ لِأَدَائِهِ مُجِيدًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ الَّذِي فِي «الصَّحِيحِ»(١)، تَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ** -الَّذِي يُجِيدُ تِلَاوَتَهُ لَا يَتَعَثَّرُ فِي تِلَاوَتِهِ وَلَا يَتَوَقَّفُ- **مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ** -يَعْنِي مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْمُطَهَّرِينَ الْمَبْرُورِينَ الْأَبْرَارِ-، **وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ** -أَجْرُ التِّلَاوَةِ وَأَجْرُ الْمَشَقَّةِ الَّتِي يُلَاقِيهَا-».(*).

وَأَمَّا إِتْقَانُ الْعَمَلِ فَقَدْ حَثَّ عَلَيْهِ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **وَحَضَّ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا** ﷺ؛ **فَالْعَمَلُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ أَمَانَةٌ، وَاللهُ سَائِلُهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَرْبَابِهَا وَأَصْحَابِهَا، وَبَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ عَرَضَ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٧٩٨)، وأخرجه أيضا البخاري «صحيحه» (رقم ٤٩٣٧)، بلفظ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٨٤): «الْمَاهِرُ: الْحَاذِقُ الْكَامِلُ الْحِفْظِ الَّذِي لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِجَوْدَةِ حِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «شَرَفُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ١» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٢٨ مِنْ جُمَادَى الثَّانِي ١٤٢٣هـ| ٦-٩-٢٠٠٢م.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(١).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي حَدِيثِ الْخَرَائِطِيِّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، كَمَا فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»-، قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُهُ الصَّلَاةُ**»(٢).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- عِظَمَ شَأْنِ الْأَمَانَةِ، وَجَعَلَ الْخِيَانَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِ: «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٣).

فَالْخِيَانَةُ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْمُخْلِصِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِ «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، وَهِيَ مِنْ أَخَسِّ وَأَحْقَرِ الصِّفَاتِ؛ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي مَقَامِ الِائْتِمَانِ.

فَإِذَا ائْتَمَنَكَ إِنْسَانٌ فَكُنْتَ لَدَيْهِ أَمِينًا، فَائْتَمَنَكَ عَلَىٰ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْ عَمَلٍ

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» في (البيوع، ٨١: ٤، رقم ٣٥٣٥)، والترمذي في «جامعه» في (البيوع، ٣٨، رقم ١٢٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وصححه لغيره الألباني في «الإرواء» (١٥٤٤)، وفي «الصحيحة» (٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ترجمة ٢٠٤٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (رقم ١٧١)، وتمام في «فوائده» (رقم ١٩١)، والقضاعي في «مسنده» (رقم ٢١٦ و٢١٧)، والضياء في «المختارة» (٤/ رقم ١٥٨٣)، من حديث: أَنَسٍ رضي الله عنه، بلفظ: «**أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ**...»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في (الإيمان، ٢٤: ١، رقم ٣٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٢٥: ٢، رقم ٥٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

أَوْ قَوْلٍ؛ ثُمَّ خُنْتَهُ -أَيْ: خَانَهُ الْأَبْعَدُ-؛ فَالْخِيَانَةُ فِي مَقَامِ الِائْتِمَانِ مِنْ أَخَسِّ وَأَحْقَرِ مَا يَكُونُ؛ لِذَلِكَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمَرَ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ، فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُنْتَقَصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ أَلَّا يُؤْتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي اسْتُؤْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ.(*).

وَمِنْ دَلَائِلِ الْإِتْقَانِ فِي الْعَمَلِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَغَّبَ التُّجَّارَ فِي الصِّدْقِ، وَرَهَّبَهُمْ مِنَ الْكَذِبِ وَمِنَ الْحَلِفِ وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢) وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «هَدَايَا الْمُوَظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ١٩-٢-٢٠١٠م».

(٢) «**الجامع**»: (٣/ ٥٠٦، رقم ١٢٠٩)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٤٢، رقم ١٧٨٢).

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَلَفْظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وَهُوَ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا الْبَيِّعَانِ وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا فَعَسَىٰ أَنْ يَرْبَحَا رِبْحًا وَيُمْحَقَا بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢]. (*).

❀❀❀

(١) «**السنن**» لابن ماجه: (٢/ ٧٢٤، رقم ٢١٣٩).

وزاد الدارقطني في رواية له (٣/ ٣٨٧، رقم ٢٨١٢): «... **مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

والحديث حسن إسناده وصحح متنه لشواهده الألباني في «**الصحيحة**»: (٧/ ١٣٣٦ - ١٣٣٨، رقم ٣٤٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٩، رقم ٢٠٧٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١١٦٤، رقم ١٥٣٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «نَصِيحَةُ الْأَمِينِ ﷺ لِتُجَّارِ الْمُسْلِمِينَ» - ٣٠ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٢-٩-٢٠١٦م.

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُجِيبُ الْمُضْطَرِّ كَاشِفُ السُّوءِ

إِنَّ «اللهَ -تَعَالَىٰ- يُنَبِّهُ أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُوُّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، الْمَرْجُوُّ عِنْدَ النَّوَازِلِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وَقَالَ ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]؛ أَيْ: مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ، وَالَّذِي لَا يَكْشِفُ ضُرَّ الْمَضْرُورِينَ سِوَاهُ؟!!»(١).

«هَلْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ الَّذِي أَقْلَقَتْهُ الْكُرُوبُ، وَتَعَسَّرَ عَلَيْهِ الْمَطْلُوبُ، وَاضْطَرَّ لِلْخَلَاصِ مِمَّا هُوَ فِيهِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ؟!! وَمَنْ يَكْشِفُ السُّوءَ -أَيِ: الْبَلَاءَ وَالشَّرَّ وَالنِّقْمَةَ- إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ؟!!»(٢).

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

«مَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الَّذِي يُجِيبُ الْمَكْرُوبَ الْمَجْهُودَ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ الضُّرَّ النَّازِلَ بِهِ؟!! وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ الَّذِي يَجْعَلُكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ، تَتَوَارَثُونَ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (٦/ ٢٠٣).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٦٠٨).

سُكْنَاهَا، وَالتَّصَرُّفَ فِيهَا، وَالِانْتِفَاعَ بِخَيْرَاتِهَا جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ؟!! أَمَعْبُودٌ مَعَ اللهِ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ، وَيَكْشِفُ السُّوءَ، وَيَخْلُقُ النَّاسَ وَفْقَ سُنَّةِ الْأَجْيَالِ الَّتِي يَخْلُفُ بَعْضُهَا بَعْضًا؟!!

تَذَكُّرًا قَلِيلًا جِدًّا يَتَذَكَّرُونَ، فَلَا يُحْدِثُ التَّذَكُّرُ أَثَرًا نَفْسِيًّا وَلَا سُلُوكِيًّا»(١).. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.(*).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

«اذْكُرُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ؛ إِذْ تَسْتَجِيرُونَ رَبَّكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَتَطْلُبُونَ مِنْهُ الْغَوْثَ وَالنَّصْرَ، فَأَجَابَ دُعَاءَكُمْ»(٣).(*/٢).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

«وَضَعْ فِي ذَاكِرَتِكَ -أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ- قِصَّةَ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عليه السلام صَاحِبِ الْحُوتِ، حِينَ انْصَرَفَ عَنْ قَوْمِهِ مُغَاضِبًا لَهُ؛ مِنْ أَجْلِ دِينِ رَبِّهِ، ضَائِقًا صَدْرُهُ بِعِصْيَانِهِمْ، دُونَ أَنْ نَأْمُرَهُ بِفِرَاقِهِمْ.

---

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص٣٨٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النمل: ٦٢].

(٣) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص١٧٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النمل: ٦٢].

وَظَنَّ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ أَلَّنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ؛ عِقَابًا لَهُ عَلَىٰ تَرْكِ قَوْمِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِنَا، فَابْتَلَاهُ اللهُ بِشِدَّةِ الضِّيقِ وَالْحَبْسِ، وَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ.

فَنَادَىٰ رَبَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ -ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةِ جَوْفِ فَمِ الْحُوتِ- تَائِبًا مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ بِتَرْكِهِ الصَّبْرَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، قَائِلًا: لَا إِلَهَ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ إِلَّا أَنْتَ، تَنَزَّهْتَ عَنْ كُلِّ شَرِيكٍ، وَعَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِرُبُوبِيَّتِكَ وَإِلَاهِيَّتِكَ.

أُؤَكِّدُ اعْتِرَافِي بِذَنْبِي؛ إِذْ ذَهَبْتُ مُغَاضِبًا قَوْمِي الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي قَبْلَ أَنْ تَأْذَنَ لِي بِانْصِرَافِي عَنْهُمْ.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دُعَاءَهُ، وَخَلَّصْنَاهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَقَدَّرْنَا أَنْ يَلْفِظَهُ الْحُوتُ عَلَىٰ الْيَابِسَةِ قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَفَعَلَ.

وَمِثْلُ هَذَا التَّخْلِيصِ مِنَ الْغَمِّ نُخَلِّصُ سَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ كَامِلِي الْإِيمَانِ مِنَ الْكُرُوبِ، ضِمْنَ سُنَّتِنَا فِي تَصَارِيفِنَا بِعِبَادِنَا إِذَا دَعَوْنَا وَاسْتَغَاثُوا بِنَا»(١). (*).

* **وَدَعْوَةُ يُونُسَ عليه السلام اشْتَمَلَتْ عَلَى أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ -تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**؛ «فَالتَّوْحِيدُ مَلْجَأُ الطَّالِبِينَ، وَمَفْزَعُ

---

(١) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص٣٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

الْهَارِبِينَ، وَنَجَاةُ الْمَكْرُوبِينَ، وَغِيَاثُ الْمَلْهُوفِينَ، وَحَقِيقَتُهُ: إِفْرَادُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ»(١).(*).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»**(٣). الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ.(*/٢).

هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي دَعَا بِهَا يُونُسُ عليه السلام وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ؛ فَرَّجَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ بِهَا.

---

(١) «**إغاثة اللهفان**»: (٢/ ٨٥٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِعْرَابُ الْبَيَانِ عَنْ أَعْمَاقِ الْإِنْسَانِ» - الْجُمُعَة ١٣ مِنْ شَوَّال ١٤٣٨هـ| ٧-٧-٢٠١٧م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الدعوات: باب٨٥، (٣٥٠٥)، من حديث: سعد بن أبي وقاص مالك رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**».

وفي رواية: «**ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعا به فرج عنه؟**» فقيل له: بلىٰ، قال: «**دعاء ذي النون**: ...»، وفي أخرىٰ: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه: كلمة أخي يونس** ...».

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٨٢ - ٣٦٣، رقم ١٦٤٤ و ١٨٢٦).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْنِ ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

وَكَذَلِكَ يُفَرِّجُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ الْتِفَاتًا خَاصًّا، فَإِنَّهُ إِذَا دَعَا بِهَا، ثُمَّ لَمْ يُفَرَّجْ عَنْهُ، وَلَمْ يُنَجِّهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ طَوِيلًا مَعَ إِيمَانِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَخَذُوا بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الصَّالِحَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ جَعَلَ هَذِهِ النَّجَاةَ كَنَجَاةِ يُونُسَ عليه السلام لَمَّا دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَاطِنِ الْحُوتِ.

فَـ«الْإِيمَانُ يُنَجِّي مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]؛ أَيْ: إِذَا وَقَعُوا فِي الشَّدَائِدِ؛ لِإِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»(١). (*).

❀❀❀

(١) «تيسير اللطيف المنان»: (ص٢٣٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - الْمُحَاضَرَة ١٦ - الِاثْنَيْنِ ٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٧-١٠-٢٠١٣م.

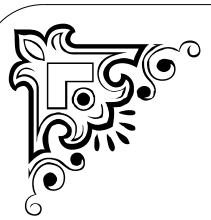

مِنْ حِكْمَةِ اللهِ فِي الِابْتِلَاءِ

«إِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- أَثْنَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِسُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ كَشْفَ مَا بِهِمْ مِنَ الضُّرِّ، وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ- بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وَكَذَلِكَ أَثْنَىٰ عَلَىٰ أَيُّوبَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وَعَلَىٰ يَعْقُوبَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وَعَلَىٰ مُوسَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

فَالشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ- لَا تُنَافِي الصَّبْرَ الْجَزِيلَ، بَلْ إِعْرَاضُ عَبْدِهِ عَنِ الشَّكْوَىٰ إِلَىٰ غَيْرِهِ جُمْلَةً وَجَعْلُ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ وَحْدَهُ هُوَ الصَّبْرُ.

وَاللهُ -تَعَالَىٰ- يَبْتَلِي عَبْدَهُ؛ لِيَسْمَعَ شَكْوَاهُ وَتَضَرُّعَهُ وَدُعَاءَهُ، وَقَدْ ذَمَّ -سُبْحَانَهُ- مَنْ لَمْ يَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ وَلَمْ يَسْتَكِنْ لَهُ وَقْتَ الْبَلَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ: عِدَةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْأَحَدُ ١٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٨هـ| ١-٤-٢٠٠٧م.

وَالْعَبْدُ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَتَجَلَّدَ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَالرَّبُّ -تَعَالَىٰ- لَمْ يُرِدْ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَتَجَلَّدَ عَلَيْهِ، بَلْ أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَسْتَكِينَ لَهُ، وَيَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَاللهُ ﷻ يَمْقُتُ مَنْ يَشْكُوهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وَيُحِبُّ مَنْ يَشْكُو مَا بِهِ إِلَيْهِ.

وَلَـئِنْ شَـكَوْتَ إِلَـىٰ ابْـنِ آدَمَ إِنَّمَـا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَىٰ الَّذِي لَا يَرْحَمُ(١)

وَقَدْ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَيْفَ تَشْتَكِي إِلَيْهِ مَا لَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ؟!!

فَقَالَ: رَبِّي يَرْضَىٰ ذُلَّ الْعَبْدِ إِلَيْهِ»(٢).

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُرْسَلِينَ بِرَفْعِ الضَّرَاعَةِ وَالشَّكْوَىٰ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يُزِيلُ الضُّرَّ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَكْشِفُ الْكَرْبَ إِلَّا هُوَ.(*).

---

(١) كذا ذكره ابن القيم في غير موضع من كتبه، والبيت من البحر الكامل منسوب إلىٰ الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المتوفى سنة (٩٣هـ)، إلا أن صدر البيت بلفظ: «لا تشكون إلىٰ العباد فإنما ...»، والبيت قبله:

(وإذا بليت بعسرة فاصبر لها ... صبر الكريم فإن ذلك أحزم)

وفي رواية:

(وإذا ابتليت بمحنة فالبس لها ... ثوب السكوت فإنّ ذلك أسلم)

انظر: «**عيون الأخبار**»: (٢/ ٢٨٤)، و«**الدر الفريد وبيت القصيد**»: (١٠/ ١٥٤، رقم ١٦٧٧٠)، و«**الكشكول**»: (١/ ٥٧).

(٢) «**عدة الصابرين**»: (ص٣٥-٣٦)، باختصار يسير، وبدون البيت.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ: عِدَةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)، الْأَحَدُ ٢٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٨هـ| ٨-٤-٢٠٠٧م.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣].

«وَأُقْسِمُ لَكَ مُؤَكِّدًا يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَّنَا أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ؛ فَكَذَّبُوهُمْ وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِمْ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْجُوعِ، وَالْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ؛ رَغْبَةَ أَنْ يَتَذَلَّلُوا لِرَبِّهِمْ، وَيَخْضَعُوا لَهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ.

فَهَلَّا تَذَلَّلُوا لَنَا حِينَ جَاءَهُمْ عَذَابُنَا التَّأْدِيبِيُّ الْجَزَائِيُّ!! وَلَكِنْ غَلُظَتْ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يَخْشَعُوا وَيَتَذَلَّلُوا، وَأَقَامُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانَ يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ»(١). (*).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ [الذاريات: ٥٠].

«لَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْفِرَارِ إِلَيْهِ؛ أَيِ: الْفِرَارِ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

فَمَنِ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الدِّينَ كُلَّهُ، وَزَالَ عَنْهُ الْمَرْهُوبُ، وَحَصَلَ لَهُ غَايَةُ الْمُرَادِ وَالْمَطْلُوبِ.

---

(١) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص١٣٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنعام: ٤٢-٤٣].

وَكُلُّ مَنْ خِفْتَ مِنْهُ فَرَرْتَ مِنْهُ؛ إِلَّا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ بِحَسَبِ الْخَوْفِ مِنْهُ يَكُونُ الْفِرَارُ إِلَيْهِ»[١].(*).

«قَالَ ﷺ: «**سَلُوا اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ** -اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ-؛ **فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ**»[٣]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَقُومُ حَيْثُ قَامَ رَسُولُ اللهِ، وَيَبْكِي كَمَا بَكَىٰ!!

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه **قَالَ**: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**».

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص٨١١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ» [تَفْسِيرُ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ] - الْخَمِيسُ ٣٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٠هـ| ١٧-١٢-٢٠٠٩م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: كتاب الدعوات: باب١٠٦، (٣٥٥٨)، من حديث: رفاعة بن رافع الأنصاري، قال: قام أبو بكر الصديق، علىٰ المنبر ثم بكىٰ، فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول علىٰ المنبر ثم بكىٰ، فقال: «**اسألوا الله العفو والعافية**». وفي رواية: «**أيها الناس سلوا الله العافية** -ثلاثا-، ...»، وفي أخرىٰ: «**لم تؤتوا شيئا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية، فاسألوا الله العافية**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٣٢٤، رقم٣٣٨٧).

ثُمَّ أَتَاهُ الْغَدَاةَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «**سَلِ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»(١)»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».(*).

❀❀❀

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: أبواب الدعوات: باب٨٥، (٣٥١٢)، وابن ماجه في «**السنن**»: أبواب الدعاء: باب الدعاء بالعفو والعافية، (٣٨٤٨)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: باب٢٧٩، (٦٣٧) واللفظ له، وتمام الحديث: «...، **فإذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص٢٣٧، رقم٤٩٦).

(٢) «**الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ**»: (ص٢٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ) - الْأَرْبِعَاءُ ١٦ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٦-٦-٢٠١٢م.

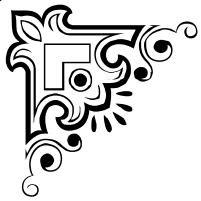

الدُّعَاءُ عَدُوُّ الْبَلَاءِ

«الدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يُدَافِعُهُ، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَدْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ[1].

*** وَلِلدُّعَاءِ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ:**

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَقْوَىٰ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَىٰ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ؛ وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَتَقَاوَمَا أَيِ: -الدُّعَاءُ وَالْبَلَاءُ-، وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.

رَوَىٰ الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ»[2] -يَعْنِي: الْمُسْتَدْرَكِ- مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) روي عن علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عباس، مرفوعا: «**الدعاء سلاح المؤمن**»، ولا يصح في الباب شيء.

(٢) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٤٩٢، رقم١٨١٣)، وأخرجه أيضا إبراهيم الحربي في «**غريب الحديث**»: (٣/ ١١٩٤)، والبزار في «**المسند**»: (١٨/ ١١٩، رقم٧٢)، وابن السماك في «**الثاني من الفوائد المنتقاة**»: (٦٩)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٣/ ٦٦، رقم٢٤٩٨)، وفي «**الدعاء**»: (ص٣١، رقم٣٣)، وابن عدي في «**الكامل**»: (٥/ ١١٨، رقم٧٣٠٩)، وابن جميع الصيداوي في «**معجم الشيوخ**»: =

=

(ص١٠٥)، وأبو العباس رافع بن عُصْم العصمي في جزء له: (ص١٢٧، رقم٦)، والقضاعي في «**المسند**»: (٢/ ٤٨-٤٩، رقم٨٥٩، و٨٦١)، والبيهقي في «**القضاء والقدر**»: (ص٢١٢، رقم٢٤٦)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (٩/ ٤٦٤)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**»: (٢/ ٣٥٩، رقم١٤١١)، وعبد الغني المقدسي في «**الدعاء**»: (ص٣٥-٣٦، رقم٥)، من طرق: عن زكريا بن منظور، عن عطاف بن خالد الشامي، وأخرجه ابن شاهين في «**فضائل الأعمال**»: (ص١٨٤، رقم١٤٨)، من طريق: الحارث بن أبي الزبير النوفلي، عن عباية بن عمر المخزومي، أو قال: عبادة، كلاهما: (عطاف الشامي، وعباية أو عبادة) عن هشام بن عروة، وأخرجه القضاعي في «**المسند**»: (٢/ ٤٩، رقم٨٦٠)، وابن النجار كما في «**الدر المنثور**»: (٤/ ٣٩٣)، من طريق: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، كلاهما: (هشام، والقاسم) عن عائشة، به.

ورواية القاسم بلفظ: «**لا ينجي حذر من قدر، وإن الدعاء ينفع من البلاء، وقد قال الله في كتابه** ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [**يونس**: ٩٨]».

ورواية زكريا بن منظور -عند ابن السماك، والمقدسي- فيها: عن فليح بن سليمان بدلا من عطاف الشامي.

قال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد»، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا عطاف، ولا عن عطاف، إلا زكريا»، وقال ابن عدي: «هذا يرويه زكريا عن عطاف عن هشام»، وقال أبو العباس العصمي: «غريب من حديث هشام لا نعلم رواه عنه غير عطاف بن خالد ولا عنه غير زكريا بن منظور»، وقال ابن الجوزي: «هَذَا حَدِيثٌ لا يصح»، وعد ابن عدي والخطيب والذهبي في «**ميزان الاعتدال**»: (٢/ ٧٤، رقم٢٨٨٦) وغيرهم هذا الحديث من منكرات زكريا بن منظور.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الجامع**»: (٢/ ١٢٧٩، رقم٧٧٣٩)، وروي عن ابن عمر، ومعاذ، وأبي هريرة وعبادة بن

=

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ يَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»؛ يَعْنِي: فَيَتَصَارَعَانِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَفِيهِ أَيْضًا -أَيْ: فِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ»[(١)] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**».

وَفِي «الْمُسْتَدْرَكِ» -أَيْضًا-[(٢)] مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

=

الصامت رضي الله عنهم، بمعناه.

(١) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٤٩٣، رقم١٨١٥)، وقال: «صحيح الإسناد»، وأخرجه أيضا الترمذي في «**الجامع**»: أبواب الدعوات: باب١٠٢، (٣٥٤٨)، وقال: «هذا حديث غريب».

والحديث لين إسناده ابن حجر في «**فتح الباري**»: (١١/ ٩٥)، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٧٨، رقم١٦٣٣)، وروي عن معاذ بن جبل، وعائشة، وأبي هريرة، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم بمعناه.

(٢) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٤٩٣، رقم١٨١٤)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وأخرجه أيضا ابن ماجه في «**السنن**»: المقدمة: باب في القدر، (٩٠)، وأبواب الفتن: باب العقوبات، (٤٠٢٢)، من طريق: عبد الله بن أبي الجعد، وأخرجه الطبراني في «**الدعاء**»: (٢/ ٧٩٩، رقم٣١)، من طريق: أبي الأشعث شراحيل بن آدة الصنعاني، كلاهما: (ابن أبي الجعد، وأبو الأشعث الصنعاني) عن ثوبان، به.

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٧٩، رقم١٦٣٨) دون قوله: «...، **وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه**» فضعفه في «**ضعيف الترغيب والترهيب**»: (٢/ ١٣٨، و١٤٠، رقم١٤٧٣، و١٤٧٨)، وله شاهد من حديث سلمان رضي الله عنه دون زيادة: «...، **وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه**»، قال الألباني في

«**لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**».

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ: الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ، وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ»(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**».

وَفِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ(٢) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ مُوَرِّقٌ رحمه الله: «مَا وَجَدْتُ لِلْمُؤْمِنِ مَثَلًا إِلَّا رَجُلًا فِي الْبَحْرِ عَلَىٰ خَشَبَةٍ، فَهُوَ يَدْعُو: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! لَعَلَّ اللهَ عز وجل أَنْ يُنْجِيَهُ»(٣).

يَعْنِي: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ فِي الْحَيَاةِ كَمَثَلِ الرَّجُلِ انْكَسَرَتْ سَفِينَتُهُ فِي الرِّيَاحِ

=

«**الصحيحة**»: (١/ ٢٨٨، رقم١٥٤) في هذه الزيادة: «لم أجد لها شاهدا».

(١) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: أبواب الدعاء: باب فضل الدعاء، (٣٨٢٧)، وأخرجه أيضا الترمذي في «**الجامع**»: أبواب الدعوات: باب٢، (٣٣٧٣) واللفظ له.
ولفظ ابن ماجه: «**من لم يدع الله سبحانه غضب عليه**».
وفي رواية زيادة: «...، **وإن الله ليغضب علىٰ من يفعله، ولا يفعل ذلك أحد غيره**».
والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (٦/ ٣٢٣، رقم٢٦٥٤)، وله شاهد من حديث أنس والنعمان بن بشير رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه أحمد في «**الزهد**»: (ص٢٤٧، رقم١٧٦٠)، وأخرجه أيضا ابن سعد في «**الطبقات الكبرىٰ**»: (٧/ ٢١٥)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٣/ ٤٨٤، رقم٣٦٢٩٥)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٢/ ٢٣٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٢/ ٣٠٧، و٣٦٥، رقم٩٥٣، و١٠٧٤)، بإسناد صحيح.

(٣) «**الداء والدواء**»: (ص١١-١٥) باختصار يسير.

الْهُوجِ، وَالْأَمْوَاجِ الَّتِي كَالْجِبَالِ، وَفِي الظُّلُمَاتِ الَّتِي إِذَا أَخْرَجَ كَفَّهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، وَتَعَلَّقَ بِخَشَبَةٍ، فَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ!

يَقُولُ مُوَرِّقٌ: «مَا وَجَدْتُ لِلْمُؤْمِنِ مَثَلًا إِلَّا رَجُلًا فِي الْبَحْرِ عَلَىٰ خَشَبَةٍ، فَهُوَ يَدْعُو: يَا رَبِّ يَا رَبِّ! لَعَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يُنْجِيَهُ».

هَلْ تَرَىٰ هَذَا الرَّجُلَ فِي الْبَحْرِ الَّذِي تَعَلَّقَ بِتِلْكَ الْخَشَبَةِ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ؛ هَلْ يَكُفُّ عَنِ الدُّعَاءِ؟!!

هَلْ يَكُفُّ عَنِ الرَّجَاءِ؟!!

هَلْ يَتَوَانَىٰ عَنِ الطَّلَبِ؟!!

إِنَّهُ مَا يَزَالُ لَاهِجًا بِلِسَانِهِ، ذَاكِرًا بِقَلْبِهِ، مُتَعَلِّقًا بِوِجْدَانِهِ، يَطْلُبُ رَحَمَاتِ سَيِّدِهِ ﷻ، لَا يَكُفُّ عَنْ ذَلِكَ وَلَا يَنْقَطِعُ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْهَا، قَالَ: فَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ فِي الْحَيَاةِ كَمَثَلِ هَذَا الرَّجُلِ وَقَدْ تَعَلَّقَ بِتِلْكَ الْخَشَبَةِ فِي الْبَحْرِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ! لَعَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يُنْجِيَهُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، الْأَرْبِعَاءُ ١٩ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٨هـ| ٧-٢-٢٠٠٧م.

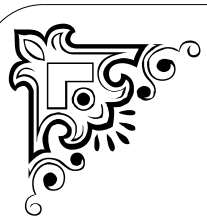

مُبَشِّرَاتٌ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْبَأْسِ

«لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي جَرَتْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ، وَكَادَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَىٰ النُّفُوسِ الْيَأْسُ؛ أَنْزَلَ اللهُ فَرَجَهُ وَنَصْرَهُ؛ لِيَصِيرَ لِذَلِكَ مَوْقِعٌ فِي الْقُلُوبِ، وَلِيَعْرِفَ الْعِبَادُ أَلْطَافَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

وَيُقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَىٰ: إِنْزَالُهُ الْغَيْثَ عَلَىٰ الْعِبَادِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ لِمُبْلِسِينَ(١)، فَيَحْصُلُ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ وَالِاسْتِبْشَارِ بِفَضْلِهِ مَا يَمْلَأُ الْقُلُوبَ حَمْدًا وَشُكْرًا وَثَنَاءً عَلَىٰ الْبَارِي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَكَذَلِكَ يُذَكِّرُهُمْ نِعَمَهُ بِلَفْتِ أَنْظَارِهِمْ إِلَىٰ تَأَمُّلِ ضِدِّهَا؛ كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

---

(١) «**المُبْلِسُ**»: الكئيبُ الحزين المُتَنَدِّم، الذي لا يقدر علىٰ الكلام غَمًّا.

وَنَلْمَحُ مِثْلَ هَذَا الْمَعْنَىٰ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ وَبَنِيهِ حِينَ اشْتَدَّتْ بِهِمُ الْأَزْمَةُ، وَدَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ وَقَالُوا: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨]. الْآيَةَ، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ قَالَ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَالْعِزِّ الْمَكِينِ، وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ؛ فَتَبَارَكَ مَنْ لَا يُدْرِكُ الْعِبَادُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَدَقِيقِ بِرِّهِ أَقَلَّ الْقَلِيلِ.

وَيُنَاسِبُ هَذَا مِنْ أَلْطَافِ الْبَارِي: أَنَّ اللهَ يُذَكِّرُ عِبَادَهُ فِي أَثْنَاءِ الْمَصَائِبِ مَا يُقَابِلُهَا مِنَ النِّعَمِ؛ لِئَلَّا تَسْتَرْسِلَ النُّفُوسُ فِي الْجَزَعِ، فَإِنَّهَا إِذَا قَابَلَتْ بَيْنَ الْمَصَائِبِ وَالنِّعَمِ؛ خَفَّتْ عَلَيْهَا الْمَصَائِبُ، وَهَانَ عَلَيْهَا حَمْلُهَا، كَمَا ذَكَّرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ أُصِيبُوا بِأُحُدٍ مَا أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] -لِأَنَّهُمْ فِي بَدْرٍ قَتَلُوا سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، فَنَزَّلَ الْمَأْسُورِينَ مَنْزِلَةَ الْمَقْتُولِينَ، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي أُحُدٍ سَبْعُونَ، فَقَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾- وَأَدْخَلَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي أَثْنَاءِ قِصَّةِ أُحُدٍ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وَكَذَلِكَ يُبَشِّرُ اللهُ عَبْدَهُ بِالْمَخْرَجِ مِنْهَا حِينَ تُبَاشِرُهُ الْمَصَائِبُ؛ لِيَكُونَ هَذَا الرَّجَاءُ مُخَفِّفًا لِمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

وَكَذَلِكَ رُؤْيَا يُوسُفَ؛ كَانَ يَعْقُوبُ إِذَا ذَكَرَهَا رَجَا الْفَرَجَ، وَهَبَّ عَلَىٰ قَلْبِهِ نَسِيمُ الرَّجَاءِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِأُمِّ مُوسَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

وَأَعْظَمُ مِنْ ذلك كُلِّهِ: أَنَّ وَعْدَ اللهِ لِرُسُلِهِ بِالنَّصْرِ، وَبِتَمَامِ الْأَمْرِ، وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ؛ هَوَّنَ(١) عَلَيْهِمْ بِهِ الْمَشَقَّاتِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِمُ الْكَرِيهَاتِ، فَتَلَقَّوْهَا بِقُلُوبٍ مُطْمَئِنَّةٍ وَصُدُورٍ مُنْشَرِحَةٍ، وَأَلْطَافُ الْبَارِي فَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ، أَوْ يَدُورُ فِي الْخَيَالِ»(٢). (*).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ. (*/٢).

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ؛

---

(١) في الأصل: [يهون].

(٢) «**القواعد الحسان لتفسير القرآن**»: (ص١٤٤-١٤٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْقَوَاعِدِ الْحِسَانِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٦-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِصْرُ بَيْنَ حَاضِرِ الْكِفَايَاتِ وَمَاضِي الْمَجَاعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧هـ| ١٣-٥-٢٠١٦م.

اغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُحِلُّ النِّقَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُورِثُ النَّدَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الْقِسَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُدِيلُ الْأَعْدَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُمْسِكُ غَيْثَ السَّمَاءِ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَوَاءَ، وَاغْفِرْ لَنَا الذُّنُوبَ الَّتِي تَكْشِفُ الْغِطَاءَ.

عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ، مُسَيْكِينُكَ بِفِنَائِكَ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ، سَائِلُ بِفِنَائِكَ، كُنْتَ وَتَكُونُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، تَنَامُ الْعُيُونُ، وَتَنْكَدِرُ النُّجُومُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «تَضَرُّعٌ وَمُنَاجَاةٌ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٨هـ| ٢٨-٤-٢٠١٧م.

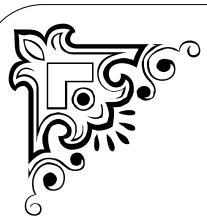

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ ٤

الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٦

الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ١١

الْحَثُّ عَلَىٰ الْعَمَلِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ١٤

الْعَمَلُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ ٢٩

إِتْقَانُ الْعَمَلِ فِي الْإِسْلَامِ ٣٦

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُجِيبُ الْمُضْطَرِّ كَاشِفُ السُّوءِ ٤٤

مِنْ حِكْمَةِ اللهِ فِي الِابْتِلَاءِ ٤٩

الدُّعَاءُ عَدُوُّ الْبَلَاءِ ٥٤

مُبَشِّرَاتٌ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْبَأْسِ ٥٩